«يعقد العرب على عراقهم آملاً، ومنه يرتقبون خلاصاً. ورجاء العرب الأكبر أن ينهض العراق بالقضية العربية حكومة وشعباً، وأن تكون الوحدة العربية من سياسة الدولة. وان فلسطين لترى في الغازي مناط الأمل، وتعتقد بأن شبل الأسد لن يتخلى عن ركن من أركان عرينه».

وفي بغداد، طلب ياسين الهاشمي من زعيتر البقاء، ليعمل في حقل التوجيه القومي في الثانويات، فلبى الطلب. وهناك أسس مع بعض القوميين «نادي المثنى» و«الجوّال القومي». وبعد أن تلقى العديد من الرسائل من اخوانه العاملين في الحقل الوطني ما لبث زعيتر أن عاد إلى أرض الوطن، في وقت بدأت فيه الروح الوطنية تأخذ أشكالاً جديدة، تجاوزت التحريض والمظاهرات والإستنكارات. فتفجّرت ثورة عز الدين القسام المسلّحة، واستشهد القسام، مع بعض رفاقه في معركة مسلّحة مع قوات الإنتداب. وسرعان ما قام زعيتر بتوزيع بيان للصحف، قامت بإبرازه في ١٩٣٥/١١/٢١، وكان بعنوان: «دعوة الأحزاب والزعماء والهيئات إلى الإشتراك في جنازة الشهداء». وقد كان زعيتر في عداد الوفد الذي شارك في تشييع الشيخ عز الدين ورفاقه، والذي كان مؤلّفاً من: «عادل زعيتر، أكرم زعيتر، راشد أبوغزاله، بشير الشيخ ياسين، الحاج فوزي الخياط، فريد الحبش، صبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم».

وتمت الصلاة على الشهداء، في مسجد النصر في حيفا، ثم حملت النعوش على الأكف، وسط تظاهرة صاخبة، وصفها زعيتر في مقال له في جريدة «الجامعة الإسلامية» بقوله: «هل رأيت اليم الصخاب، الجائش الفوار، المتلاطم الأمواج الموار، المرغي الزبد الهدّار؟ هل رأت البراكين المضطربة تقذف الحمم والنار؟ هل سمعت الرعود العاصفة تجلجل؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع؟ هل رأيت الأتون المستعر المتلظي، المتأجّج الوهّاج؟».

وأنهى مقاله مناجياً القسّام: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيباً مفوّهاً تتكىء على السيف، وتهدر من على المنبر. وسمعتك اليوم خطيباً تتكىء على الأعناق، ولا منبر تقف عليه. ولكنك، والله، اليوم أخطب منك حياً»(٦).

واستجابة لمتطلّبات الواقع الفلسطيني، اثر حركة القسّام، وما رافقها وما تلاها من أجواء شعبية، دعا زعيتر إلى تشكيل اللجان القومية، في فلسطين. وكانت اللجنة القومية في نابلس، أولى هذه اللجان، وتولىّ زعيتر أمانة سرها. وبعد أن انتشرت اللجان القومية في أنحاء فلسطين، وانبثق عنها تحالف للأحزاب والقوى السياسية الفلسطينية، تمّت الدعوة إلى الإضراب العام الذي استمر زهاء ستة أشهر، وكان الإرهاص البارز لثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩، حيث دعت اللجنة القومية، في نابلس، الجماهير إلى حمل السلاح والانتقال بالثورة إلى مقاتلة الانكليز والصهيونيين. واثر ذلك، اعتقل زعيتر، وارسل إلى معتقل عوجا الحفير. وكان ذلك أول معتقل في ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩. ثم أمر مستر هوت حاكم لواء نابلس آنذاك، والذي عرف فيما بعد باللورد كارادون، بنقله إلى معتقل صرفند، حيث قضى زهاء ستة أشهر، ثم أطلق سراحه. فلجأ إلى دمشق مفتتحاً بذلك غربته، عن